تقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان للنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمي
حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ولو قرئ أن يغل من أغل يعني غل الجار ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة
يأتي بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الأعراب أنه
سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال إذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأت بما احتمل من وباله وإثمه
فإن قلت هلا قيل ثم توفى ما كسبت ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث
المعنى وهو أبلغ وأثبت لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزي فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من تبعة ما كسب وهم
لا يظلمون أي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله هم
أنصب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل
المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب لقد من الله على المؤمنين عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها
والله بصير بما يعملون على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه من أنفسهم من جنسهم
عربيا مثلهم وقيل من ولد إسمعيل عليه السلام كما أنهم من ولده فإن قلت ما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم قلت
إذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان
ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي قراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم أي من أشرفهم لأن عدنان ذروة ولد إسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف
ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب
في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي
هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه فيهم فحذف لقيام الدلالة أو يكون إذ في محل الرفع كإذا في
قولك أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا أهل جاهلية
لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث
وقيل يأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة
العلوم وإن كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وتقديره وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه أولما أصابتكم مصيبة يريد ما أصابهم
يوم أحد من قتل سبعين منهم قد أصبتم مثليها فقد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ولما نصب
بقلتم وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لأنه مقول والهمزة
للتقرير والتقريع فإن قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم
الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا ولقد
صدقكم الله هو من عند أنفسكم وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة
أو لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم إن الله على كل شيء قدير
فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى وما أصابكم يوم أحد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع
المشركين فهو كائن بإذن الله أي بتخليته استعار الإذن لتخلية الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأن الإذن مخل بين

المأذون

المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف
على نافقوا وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فما قالوا لما قيل قالوا لو نعلم
ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين
أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم
ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم
سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسره وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف
بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك
قال لقوله أو ادفعوا أراد أكثروا سوادهم ووجه آخر هو أن يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن
يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو
إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ
أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم
فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم
لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم
لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم والله
أعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير
ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا
في إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الإبدال
من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم
لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا
أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا
وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي
هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم
قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى
قوله إن كنتم صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره
لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود
وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا
ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء
بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا
أنفسهم أمواتا فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول قلت هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ
في قوله أحياء والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب

Copyright © King Saud University